جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

السلف والسلفية

تأليف
الدكتور/ محمد عمارة

القاهرة
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

السلف والسلفية

تأليف
الدكتور/ محمد عمارة

القاهرة
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د/ محمود حمدى زقزوق
وزير الأوقاف

يعانى المجتمع الإسلامى المعاصر من خلل فكرى يتمثل فى الخلط بين المفاهيم، وفى سوء الفهم للكثير من المصطلحات الدينية، الأمر الذى تسبب فى إحداث بلبلة في الفكر واضطراب فى الفهم وقصور فى الرؤية الصحيحة للأمور. والأمر المثير للقلق هو انعكاس ذلك كله على السلوك بين طوائف الأمة التى وصل الأمر فيها إلى حد تكفير بعضها بعضاً لأتفه الأسباب.

وهذه الضبابية التى غطت على عقول الكثيرين فى عالمنا الإسلامى أدت إلى خلل أصاب الأمة الإسلامية بالجمود، الذى عطل مسيرتها نحو التقدم والنهوض، فقد انشغل الناس بصغائر الأمور والخلاف حولها بين الفرق والمذاهب، والتعصب الأعمى لهذه الفرقة أو تلك، وادعاء احتكار الحق دون الآخرين.

ومن المعلوم لكل عاقل أن الحق ليس حكراً على أحد أو طائفة أو فرقة من الفرق. فالحق واحد ولكن الأفهام متعددة، وتلك طبيعة الفكر

الإنسانى، والإسلام عندما اعتمد الاجتهاد ليكون آلية للتجديد واستنباط الأحكام الشرعية كان حريصاً على تأكيد نسبية الفكر الإنسانى. ومن هنا جعل للمجتهد الذى يخطىء أجراً واحداً وللمصيب أجرين.

وفى غمرة هذه الأزمة الفكرية وجدنا لزاماً علينا فى وزارة الأوقاف أن نتصدى لعلاج هذا الخلل الفكرى، وذلك بمحاولة توضيح الأفكار وتحديد المفاهيم لمساعدة المسلمين على إعمال عقولهم فى كل ما يسمعون أو يقرأون حول مصطلحات يكتنفها الغموض، ومن ناحية أخرى لحمايتهم من الوقوع فى شباك المتطفين فى الدين المتعصبين لمذهبيات جامدة والذين يكفرون غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية.

ومن بين المفاهيم التى أصابها كثير من الضبابية وعدم الوضوح وسوء الفهم مصطلح السلفية. وهناك جهود مشكورة من جانب عدد من العلماء الذين تصدوا لتوضيح هذا المصطلح فى إطار معالجاتهم لقضايا الفكر الإسلامى.

ومن أبرز من تصدى لإلقاء الضوء على العديد من المفاهيم والمصطلحات الإسلامية فى الفكر الإسلامى المعاصر الأخ الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة. ومن هنا رجوناه فى كتابة رسالة موجزة عن السلف والسلفية لإزالة ما أحاط بهذا المفهوم من غموض وسوء فهم. وقد استجاب مشكوراً لهذه الرغبة حتى يطلع الدعاة بصفة خاصة والقراء بصفة عامة على حقيقة هذا المصطلح والمراد منه وتطوره عبر الزمان.

والرسالة التى يسعدنا أن نقدمها اليوم للقارىء الكريم يوضح فيها الدكتور/ محمد عمارة - بما عرف عنه من عمق فى الفكر واستقصاء فى البحث - حقيقة هذا المصطلح بدءاً بتحديد معناه وتاريخه وتطوره حتى العصر الحديث، وبذلك ألقى الضوء على هذا المفهوم بطريقة واضحة تزيل سوء الفهم، وتضع النقاط على الحروف.

ونحن إذ نقدم له خالص الشكر وعظيم التقدير نسأل الله أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناته، ونأمل أن تكون هذه الرسالة عوناً للدعاة فى وزارة الأوقاف ولغيرهم ممن يحرصون على استقاء معلوماتهم من منابع فكرية أصيلة. وستواصل الوزارة جهودها فى هذا السبيل من أجل الكشف عن العديد من الأفكار المغلوطة والمفاهيم الخاطئة وإبراز الأفكار الصحيحة الناصعة حتى يستعيد القراء ثقتهم بتراثهم الإسلامى الصحيح بعيداً عن الخلط والبلبلة التى تسود الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة.

والله ولى التوفيق ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى عالم اختلطت فيه «أوراق المفاهيم»، التى تقفز إلى الذهن عندما يُذكر مصطلح «السلفية» فيراها البعض:

• **التقليد والجمود** .. ومخاصمة العقل والتمدن .. والعودة إلى عصور البداوة ومجتمعاتها .. والرفض لكل الآخرين .. ولجميع ما لدى الآخرين .. بل والبراء من الآخرين الذين يشاركون هذه السلفية شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله !.

• ويراها بعض الغربيين: «**الفاشية الإسلامية**» التى تهدد - بالإرهاب - المدنية الغربية.. والتى تجاوز خطرها خطر النازية والشيوعية فى القرن العشرين.

• بينما يراها البعض: «**السلفية الجهادية**»، التى حملت السلاح لمحاربة حكام البلاد الإسلامية وهزت الاستقرار فى مجتمعات الإسلام ، بدعوى أن محاربة «العدو القريب» - الحكام المسلمين- أولى وأجدى من محاربة «العدو البعيد» - الصهيونية والاستعمار-...

• ويراها بعض الصوفية: «**الانحراف العقدى**» .. الذى أدخل عقائد الفنوصية والهندوسية إلى الإسلام!.. فأدى بأصحابه - السلفيين- إلى الخروج من الدين!..

● على حين يراها آخرون: «الفرقة الوحيدة الناجية» من النار، لأنها هى التى بقيت على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم -.. بينما انحدرت كل فرق المسلمين - الاثنتين والسبعين - إلى هاوية الهلاك: لأنهم بدّلوا.. وضلوا.. وفسقوا.. وابتدعوا.. بل وكفر بعضهم بما أُنزل على محمد ﷺ !..

فى عالم تقفز فيه هذه «المفاهيم .. والصور المتناقضة - هذا التناقض الصارخ - إلى أذهان القراء والسامعين عندما يُذكر مصطلح «السلفية» سواء أكان ذلك فى عالم الإسلام.. أم فى عالم الغرب.. وسواء أكان ذلك فى صفوف الإسلاميين أم فى صفوف العلمانيين والمتغربين..

فى مثل هذا العالم - الذى نعايشه ونعيش فيه - تشتد الحاجة إلى تحرير المضامين وتحديد المفاهيم.. مضامين مصطلحات: «السلف».. و«السلفية».. و«السلفيين».. وكذلك سبر غور التطور الفكرى الذى مر به هذا التيار فى تاريخ الحضارة الإسلامية.. لنرى الحقائق المجردة من الأوهام .. ولتتضح أمام العقل - المسلم وغير المسلم - تضاريس «خارطة» هذا الجانب من جوانب الفكر والواقع.. ولنستبين - بعد تحديد المفاهيم.. وتتبع خيوط «تاريخ الأفكار» - هل نحن - اليوم - أمام سلفية واحدة ؟.. أم أننا بإزاء عدد من السلفيات ؟.. وليستبين لنا أى المفاهيم والصور التى تقفز إلى الأذهان عند ذكر هذا المصطلح «السلفية».. أيها هى الحقيقة؟.. وأيها هى الأوهام ؟؟..

دكتور/ محمد عمارة

- ١ -

تحرير مفاهيم المصطلحات

«السلف» لغة: هو الماضي وكل ما ومن تقدم ومضى عن الواقع والزمن الذي يعيش فيه الإنسان..

وفي الاصطلاح: هو العصر الذهبي الذي يمثل نقاء الفهم والتطبيق للمرجعية الدينية والفكرية، قبل ظهور الخلاف والمذاهب والتصورات التي وفدت على الحياة الفكرية الإسلامية بعد الفتوحات التي أدخلت الفلسفات غير الإسلامية على فهم «السلف الصالح» للإسلام..

و«السلف» - أيضاً -: هو كل عمل صالح قدمه الإنسان.

وفي القرآن الكريم يرد مصطلح «السلف» بمعنى: الماضي، وما سبق الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ (النساء: ٢٢)، ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ (يونس: ٣٠)، ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ (الزخرف: ٥٦)..

فالسلف في القرآن الكريم ، هو الماضي، وما سبق وتقدم على الحياة الحاضرة للإنسان.

ونفس هذا المعنى - لمصطلح السلف - نجده فى الحديث النبوى الشريف. ففى مسند الإمام أحمد، عن فاطمة الزهراء - رضى الله عنها -، أن رسول الله ﷺ قال لها، فى مرض موته: [**ولا أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك**].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: قال رسول الله ﷺ [**الحقى بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون**].

أما السلف فى اصطلاح المال والتجارة، فهو: إقراض الأموال قرضاً حسناً، أى لا منفعة فيه للمقرض - بالدنيا، وبهذا المعنى ورد - المصطلح - فى الحديث النبوى، فعن السائب بن أبى السائب: أنه كان يشارك رسول الله ﷺ قبل الإسلام فى التجارة فلما كان يوم الفتح جاءه فقال النبى ﷺ : [**مرحبا بأخى وشريكى، كان لا يدارى ولا يمارى يا سائب قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تقبل منك وهى اليوم تقبل منك، وكان ذا سلف وصلة**]. (رواه أحمد)..

أى كان يقرض المال قرضاً حسناً، ويصل الأرحام.

ولما كان كل ماض هو سلف، فلقد شاع إطلاق هذا المصطلح مُعَرَّفاً - السلف - على الجيل - القرن - المؤسس الذى أقام الدين، وطبق منهاج الإسلام، وأنشأ دولته.. جيل الصحابة، الذين عاشوا عصر تنزّل الوحى، وامتلكوا سليقة فهم مصطلحاته على النحو الذى كانت عليه فى عصر التنزيل، وتلقّوا عن المعصوم ﷺ البيان النبوى للبلاغ القرآنى، وحوّلوا جميع ذلك إلى واقع حياتى معين.. فغدوا - لذلك - السلف الصالح، بتعميم وإطلاق .. ثم انضم إليهم - فى زمرة السلف - من اهتدى بهديهم

وعمل يستثنيهم من التابعين وتابعى التابعين، الذين لم تتغير رؤيتهم «بالوافد» غير الإسلامى الذى عرفته الحياة الفكرية بعد عصر الفتوحات..

فالسلف، هو: كل من يُقتَدَى ويُقتَدَى أثره فى الدين.

وبعد السلف - الذين يشملون الصحابة .. والتابعين .. والأئمة العظام للمذاهب الكبرى، من تابعى التابعين- يأتى «الخلف»، الذين يلونهم فى التسلسل الزمنى .. وبعد الخلف تأتى أجيال «المتأخرين» .. ثم «المحدثين» .. فالمعاصرين..

* * *

أما «السلفية» - وهى نسبة إلى السلف: الماضى والمتقدم- فلقد عنت: السلفية الدينية، أى الرجوع فى الدين والشرع إلى منابع الإسلام الأولى، أى الكتاب والسنة، مع إهدار ما سواهما مما طرأ مخالفاً لهما..

وبعبارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) فإنها - السلفية -: «فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى..»[1].

ومع وضوح هذا التعريف للسلفية، تعددت فصائل تيارها فى تراثنا وفكرنا الإسلامى .. فكل السلفيين يعودون فى فهم الدين إلى الكتاب والسنة، لكن منهم فصيلاً يقف فى الفهم عند ظواهر النصوص.. ومنهم من يُعمل العقل فى الفهم .. ومن الذين يعملون العقل: مسرف فى التأويل.. أو متوسط.. أو مقتصد..

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٣ ص ٣١٨، دراسة وتحقيق: د/ محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

ومن السلفيين أهل جمود وتقليد، ومنهم أهل التجديد الذين يعودون إلى المنابع لاستلهامها في الاجتهاد لواقعهم الجديد. ومن السلفيين من سلفهم ماضيهم، فكر عصر الازدهار الحضاري والخلق والإبداع، ومنهم من سلفهم ماضيهم ومنابعهم الذي يحتذونه، فكر عصر التراجع الحضاري والتقليد والجمود.

ومن السلفيين «مقلدون» لكل التراث دونما تمييز بين «الفكر» وبين «التجارب»، ودونما تمييز في «الفكر» بين الثابت والمتاهة، وبين المتغيرات، ومنهم «مستلهمون» لثوابت التراث مع الاسترشاد بتجارب ومتغيرات التاريخ.

ومن السلفيين من يعيشون في الماضي والسلف، ويهاجرون من العصر إلى هذا السلف الماضي، ومنهم من يوازن بين «السلف» الماضي وبين «الحاضر» المعاصر.

وهذا النوع الذي يتميز [illegible] من [illegible] فضائل السلفية هو الذي [illegible] مصطلح [illegible] في فكرة المعاصر بكثير من الغموض [illegible]

فكل إنسان هو سلفي بمعنى أن له سلفا وماضيا [illegible] ويرجع له لكن التفاوت يأتي من الخلاف حول

من هو سلفي؟ وكيف التعامل مع سلفنا وماضينا؟ أنهاجر إليه أم نستدعيه؟.. نقلده؟.. أم نجتهد فيه؟؟..

* * *

وإذا كان هذا هو معنى «السلف» و«السلفية» فإن «السلفيين» والمفرد «سلفي» هم الذين يحددون جدول السلف الذي سلفوا أي سلفوا ومضوا.

وإذا استثنينا تيار «الحداثة» بالمعنى الغربي، والتي تقيم - وتقيم أصحابها - «قطيعة معرفية» مع الموروث، والموروث الديني على وجه الخصوص، فإن المسلمين يرون أن الفكر ومذاهبه ومدارسه يمكن أن تكون متفاوتة ومعاني متغايرة، أن تدخل في إطار السلفيين لأن لها ماضيا وسلفا ومرجعية، نموذجا تاريخيا ترجع إليه وتتشبث به وتحتذيه وتستصحب أولويته ومناهجه. فليس هناك في الحقيقة صاحب فكر بلا ماض ومهما كان في هذا الفكر من إبداع، وإذا كان السلف هو الماضي فكلنا سلفيون.

وكل حركات الإحياء ودعوات المجددين هي سلفية وأعمالها وفلاسفتها هم سلفيون في جانب من جوانب إحيائهم وتجديدهم لأنهم يستلهمون المنابع للتجديد الواقع واستشراف المستقبل. فالنهضة الأوربية كانت إحياء لتراث الإغريق والرومان للتجديد الفكري والحياة في أوربا، خروجا بها وإخراجا لها من جمود اللاهوت الكنسي والكهانة الكنسية، و«القطيعة المعرفية» بحد ذاتها هذه النهضة الأوربية إنما كانت مع الموروث الديني وتنشر مع السلف الإغريقي والروماني، وكذلك كان حال كل دعوات التجديد والإحياء في تاريخ الحضارة الإسلامية.

وإذا كان هذا هو حال كل «السلفيين المجددين» فإنه ليس حال عقود السلفيين!.. ذلك أن السلفيين - عندنا - [illegible]

فمن السلفيين من «يقلد» السلف وهؤلاء هم أهل الجمود والتقليد

ومن السلفيين من يرجع إلى السلف فيجتهد في ميراثهم وتراثهم مميزاً فيه «الثوابت» عن «المتغيرات» ويصالح للاستصحاب والاستلهام عن ما تجاوزته الوقائع المتغيرة والعادات المتبدلة والأعراف المختلفة والمصالح المستجدة..

ومن السلفيين من يستلهم من فقه السلف ما يتطلبه فقه الواقع الجديد والمعين ومنهم من يهاجر من واقعه المعين إلى واقع السلف الذي تجاوزه الزمن وإلى تجاربهم التي طوتها القرون معاكسين بذلك سنة التطور وطامحين في المحال وهو صب الحاضر في قوالب الماضي وعدم التمييز بين سلفية الدين الثابت وسلفية الدنيا المتجددة والتي لا يمكن أن تكون سلفية أبداً..

ومن السلفيين من سلفه عصر الازدهار والإبداع في تاريخنا الحضاري ومنهم من سلفه عصر الركاكة والتراجع في مسيرتنا الحضارية

ومن السلفيين من سلفه تراثنا وحضارتنا وهويتنا وثقافتنا الوطنية والقومية والإسلامية ومن السلفيين من سلفه تراث «الآخر» الحضاري ومذاهبه وتياراته الفلسفية والاجتماعية وبهذا المعنى يمكن إدخال «الشيرازيين» الذين يحتذون حذو «الشيرازية» العربية و«الماركسيين» الذين يحتذون حذو الماركسية العربية و«القوميين» الذين يحتذون حذو القومية العربية و«العلمانيين» الذين يحتذون حذو العلمانية العربية [illegible] في عداد «السلفيين» الذين أصبح الموروث

والماضي ومناهج النظر الغربية سلفاً لهم، يحتذونه احياناً مع قدر من التحوير، وأحياناً بجمود وتقليد.

ومن السلفيين من سلفه المذاهب والتيارات «النصوصية» الحرفية، في تراثنا، ومنهم من سلفه تيارات العقلانية في تراثنا، والنزعات الصوفية في موروثنا الحضاري.

ومن السلفيين من سلفه مذهب تراثي بعينه يتعصب له ولا يتعداه، ومن السلفيين من مرجعيته وسلفه تراث الأمة على اختلاف مذاهبها، يحتضنها جميعاً، ويعتز بها، ويتخمر منها..

* * *

لكن، ومع صدق وصلاحية ادخال أغلب تيارات الفكر تحت مصطلح السلفيين، الا أن هذا المصطلح قد ادعاه واشتهر به، وكان يحتكره، وبين الذين عنوا «النص» على «الرأي» و«القياس» و«التأويل» وغيرها من السبل والباب النظر العقلي، فوقفوا عند «الرواية» أكثر من وقوفهم عند «الدراية»، وحرّموا الاشتغال «بعلم الكلام» فضلاً عن الفلسفات الوافدة على حضارة الاسلام، وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم أحياناً «أهل الحديث» لاشتغالهم بصناعة المأثور وعلوم الرواية ورفضهم علوم النظر العقلي.

«فأهل الحديث» هم التيار النصوصي الذي جعل النصوص والمأثورات المروية مرجع الدين الوحيد، أو شبه الوحيد، رافضين لإحالة «الرأي» و«العقل» و«القياس» و«التأويل» وغيرها من أدوات النظر

[illegible] هذه في [illegible] النصوص [illegible]
[illegible] النصوص [illegible] قريباً من هذه الظواهر..

وبالطبع [illegible] التي هي المرجع في [illegible] كتاب
[illegible] كل [illegible] هذه [illegible] مهمة جمع الحديث [illegible]
وتصنيفه في [illegible] «[illegible]» [illegible]
[illegible] الحديث [illegible]
[illegible] كما [illegible] ومكانتها [illegible]
الإسلام [illegible] هذه [illegible] كالمحدثين
[illegible] كبرى [illegible] الحديث
الرسول ﷺ - فاشتهروا [illegible] أهل الحديث

ولقد كان العصر [illegible] هو [illegible] اشتهر [illegible] من
هذه [illegible] لأن [illegible] مدرس [illegible]
[illegible] وتأثيرات [illegible] عقلاني [illegible]
[illegible] قد [illegible] كثير [illegible]
[illegible] فوجد [illegible] عن [illegible]
الذي تمثل في مدرسة «أهل الحديث».

[illegible] هذه [illegible] تعتمد [illegible]
هو [illegible] أحمد بن حنبل [illegible] ٧٨ [illegible] ٨٥٥
صاحب المسند الشهير [illegible] وصاحب الورع الأشهر..

[illegible] هذه [illegible] الأئمة [illegible]
[illegible] جمع [illegible] تصنيف الحديث [illegible]

وروايته وروايته من مثل ابن راهويه ٢٣٨هـ ٨٥٢م وهو الإمام في علم الجرح والتعديل والبخاري ٢٥٦هـ ٨٧٠م ومسلم ٢٦١هـ ٨٢٠ ٨٧٥م وأبو داود (٢٧٥هـ ٨٨٨م) والدارمي (٢٨٠هـ ٨٩٣م) والنسائي ٣٦٠هـ ٩٠١م والبيهقي ٥٨٠هـ ٦٠٠م) وغيرهم من أصحاب الصحاح والمسانيد والجوامع كما نجد في هذه المدرسة الفقهاء والمجتهدين والمجددين من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ٧٢٨هـ ٢٠٢ ١٣٢٨م) وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية ٦٩١ ٧٥١هـ ١٢٩٢ ١٣٥م، وأمثالهم الذين جددوا هذه المدرسة وطوروها.

* * *

-٢-

السلفية ظاهرة عباسية

في العصر العباسي ترجمت الفلسفة اليونانية، وهي فلسفة لادينية، العمل فيها متحرر من النقل، لا لتكون فلسفة الإسلام والمسلمين، ففلسفة الإسلام والمسلمين هي «علم التوحيد» علم الكلام الإسلامي الذي تبلور منذ النصف الثاني للقرن الهجري الأول.

ولكن ترجمة هذه الفلسفة اليونانية، وخاصة عقلانية أرسطو (٣٨٩-٣٢٢ ق.م) كانت استعانة إسلامية «بسلاح العقلانية اليونانية» للرد على «العنوصية اليونانية» والتي مثلت الخطر الأكبر المهدد لوسطية الإسلام الجامعة بين العقل والنقل، تلك العنوصية المعرفة في الباطنية.

لقد ترجم المسلمون عقلانية اليونان للرد بها على عنوصية اليونان، كما نستشهد نحن اليوم بشهادات الغربيين المنصفين للإسلام للرد بها على افتراءات الغربيين الذين ناصبوا الإسلام العداء..

فهذه الفلسفة اليونانية، وخاصة عقلانية أرسطو، قد ترجمها المسلمون كرد يوناني على المعنويين بكل ما يأتي من قبل اليونان، ولكن لتكون فلسفة الإسلام والمسلمين..

«لقد شهد على هذه الحقيقة التي يحيلها كثيرون المستشرق الألماني «كارل هينريش بيكر» (١٨٧٦-١٩٢٩م) فقال: «لقد كان العلوم تجارب الإسلام دينياً وسياسياً، وفي هذا الفصل استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية وعلى بإيجاد علم من العلوم الدينية العقلية، فكان الإسلام الرسمي قد تحالف مع التفكير اليوناني والفلسفة اليونانية ضد «العلوم» الذي كان خليطاً من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذهب الخلاص، ومن هنا نستطيع أن نفسر حماية الخليفة المأمون (١٧٠-٢٠٨هـ/٧٨٦-٨٣٣م) للعمل على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية».

ونقد الله على هذه الحقيقة ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ/٩٨٠-١٠٣٧م) في مقدمة «الشفاء»، وابن طفيل (٤٩٤-٥٨١هـ/١١٠٠-١١٨٥م) في مقدمة «حي بن يقظان».[2]

* * *

لكن ترجمة هذه الفلسفة اليونانية قد أضفت على الفكر اليوناني وهو فكر لا ديني عند شريحة من فلاسفة الإسلام، هالة فارند القداسة حتى لقد أصبح المعلم الأول وهو لقب سابع لا يسلو الذي قدموه «كمعلم أول للإنسانية» وليس فقط لليونان[1]

---

(١) بكر (وارث ووارث): بحث منشور بكتاب: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، [illegible] ص ٦٥.

(٢) انظر كتاب: العروة الفكرية وهم م. حفيد، ص ٣٣٢-٣٤٣، [illegible]

وعلى الرغم من أن هذه الشريحة من فلاسفة المسلمين قد تأثرت بعيدا عن جمهور الأمة، إلا أن فكرها هذا قد أصبح قطاعا من قادة علماء الإسلام، فولّد رد الفعل الذي يمثل في سلوك السلفية كفرقة وتيار فكري اعتصم بالنصوص الدينية، ولا شيء غير المنصوص!

لقد أدّى هؤلاء القادة العلماء في الجمهور أنه لا بد من العودة إلى إسلام السلف، الإسلام الذي مضى وتلقى الإسلام الذي أصبح «غريبا» في مناخ فكري فلسفي وقدم العقل وبراهينه على النصوص والمأثورات، وعمل الرأي والقياس والتأويل في هذه النصوص وتلك المأثورات، وكان من هؤلاء الأعلام أعلام الحركة السلفية أمامها الأول والأبرز الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م) الذي كان كما كان خصومه «ظاهرة سياسية» بمعنى أن سلوك هذا الموقع الجديد «تنفيذ لتيار الفكرية الجديدة إنما حدث في ظل حكم دولة بني العباس».

كان الإمام أحمد مثالا في الورع، أشبه ما يكون «بقرار الصحابة» قبل أن يعرف عالم الإسلام «الفقهاء» و«المتكلمين» فضلا عن «النظار من الفلاسفة والحكماء». كان كما قال ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ/١٢٩٢-١٣٥٠م): «عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه أتته البدع فنفاها، والدنيا فأباها»[٣].

ولقد صاغ الإمام أحمد منهج السلفية، المنهج النصوصي الذي يأخذ الإسلام أصولا وفروعا من النصوص والمأثورات ودينا في

---

٣ ابن القيم (أعلام الموقعين) جـ١ ص ٢٣٧، جـ ٤ بيروت، سنة ١٩٧٣م

مواجهة منهج متكلمي المعتزلة [illegible] معتزلة بغداد [illegible] الذي كان للعقل والتأويل شأن عظيم في المنهج الذي اتخذوا بواسطته الإسلام.

وقد نبع من اتباع الإمام أحمد النصوص والمأثورات [illegible] ولها حدودها [illegible] الذي جعله لا يرجح بالرأي أو العقل أو القياس [illegible] مأثورة على أخرى عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المأثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة فكان يفتي بالحكمين المختلفين لأن لديه مأثورتين مختلفتين في الموضوع [illegible] وعبارة ابن القيم «فإن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عن ابن حنبل في المسألة روايتان»[5].

أما أركان هذا المنهج النصوصي وأصوله كما صاغها إمام السلفية فهي خمسة يذكرها ابن القيم بهذا الترتيب:

الأصل الأول: النصوص [illegible] ما خالفه ولا عن خالفه كائناً من كان.. ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا [illegible] عمله بالمخالف.

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها إلى غيرها [illegible] عملاً ولا رأياً ولا قياساً..

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم فإن لم يتبين له موافقة أحد القولين حكى الخلاف فيها، ولم يجزم بقول.

---

(٤) الرأي هو «إحالة الخبير في المقنعات التي يرجى منها إنتاج المطلوب» [illegible] القياس [illegible] بين الأصل والفرع في الحكم [illegible] الاتحاد [illegible]

(٥) المصدر السابق، جـ١ ص ٧٩

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه وهو الذي رجحه (الحديث الضعيف)[1] على القياس.

الأصل الخامس: القياس للضرورة، فإذا لم يكن عنده في المسألة نص ولا قول للصحابة، أو واحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل إلى القياس، فاستعمله للضرورة.

هذه هي الأصول الخمسة لمنهج الإمام أحمد، وهي تعتمد وتدور أولا وقبل كل شيء آخر بل وأخيرا، على النصوص والمأثورات، وتقف عند هذه النصوص والمأثورات، وينكر استخدام الرأي والقياس فضلا عن العقلانية والتأويل حتى في ترجيح نص على آخر من هذه النصوص.

لقد كان الإمام أحمد يسمي «النص» «الإمام»، وكما يقول ابن القيم معقباً على أصول منهجه هذا فإنه «كان شديد الكراهة والمنع للإيتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، ولقد قال لبعض أصحابه: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»[2].

ويروى عنه ابنه عبد الله فيقول: «سمعت أبي يقول: الحديث الضعيف أحب إليّ من الرأي...»

عندما سأله ابنه عبد الله «عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه أو أصحاب رأي، فمن يستفتي

الحديث الضعيف: عند ابن حنبل كما يقول ابن القيم هو الذي يقابل الصحيح وقسم من أقسام الحديث الحسن، فهو ليس الضعيف بالمعنى المتعارف عليه عند المتأخرين من علماء الحديث.

(٢) (إعلام الموقعين) جـ١ ص ٢٩ - ٣٢.

[illegible] أصحاب الحديث ولا يسأل أصحاب الرأي [illegible]
الحديث أقوى من الرأي»(٨).

[illegible]

[illegible]
وما [illegible] في [illegible] لا [illegible]
كل شيء»(٩).

[illegible]
[illegible] وكانت [illegible] فوق أفهام جميع الأمة وعلمهم [illegible]
[illegible]

(٨) المصدر السابق ج١ ص ٧٦، ٧٧
(٩) المصدر السابق ج١ ص ٨٠
(١٠) المصدر السابق ج١ ص ٣٧٥
(١١) المصدر السابق ج١ ص ٦٠٥
[illegible]
[illegible] القاهرة سنة ١٩٧٧م

[illegible] والقداسة التي أضفاها هذا المنهج السلفي [illegible]

* * *

هكذا [illegible]

[illegible] أحمد بن حنبل الكثير [illegible] كذلك [illegible] شعراً [illegible]

[illegible]

دين النبي محمد آثار * * * نعم المطية لمبتغي الأخبار

لا تخدعن عن الحديث وأهله * * * فالرأي ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى طرق الهدى * * * والشمس طالعة لها أنوار

ورووا عن بعض أعلامهم أيضاً.

العلم قال الله قال رسوله * * * قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة * * * بين النصوص وبين رأي سفيه

كلا ولا نصب الخلاف جهالة * * * بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمدا * * * جزءا من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص من الذي رميت به * * * من فرقة التعطيل والتمويه [15]

* * *

هكذا تصورت السلفية النصوصية الأولى كفرقة ومدرسة وتدار على يد الإمام الورع أحمد بن حنبل كرد فعل نصوصي على عقلانية اليونان المنقلبة من النصوص الدينية وعلى الذين تأثروا بهذه العقلانية اليونانية من متكلمي الإسلام ولذلك حرمت هذه السلفية النصوصية لا الفكر اليوناني فقط بل وحتى علم الكلام!..[16].

---

(15) المصدر السابق جزء ص 73

(16) جدير بالذكر أن (النصوص) في أي منهج ليست عيبا فليس هناك دين ولا فلسفة ولا مدرسة فكرية بلا نصوص بل إن الذين يهاجمون النصوص يعتمدون على نصوص [illegible] وإنما النقد يوجه [illegible]

-٣-

تطور السلفية

هناك ظاهرة طبيعية في «تاريخ الأفكار» التي مثلت مقولات ونظريات الفرق الإسلامية والمدارس والسيارات الفكرية في تاريخنا الحضاري هي ظاهرة «التطور» الذي حدث لهذه الأفكار والمقولات والنظريات والمناهج التي استخدمها العلماء في إبداع هذه الأفكار وهو تطور طبيعي يحكم بغير الدوافع والمقاصد والوقائع والملابسات

* فالأشعرية التي بدأت الذي أمامها أبو الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ ٨٣٦-٨٧٤م) «رد فعل» شديد المحافظة إزاء عقلانية المعتزلة وخاصة معتزلة بغداد الذين تأثروا بالفكر اليوناني هذه الأشعرية قد تطورت تطورا كبيرا لدى جيل المجددين بها من مثل

الباقلاني أبو بكر محمد بن أبي الطيب (٤٥٣هـ ١٠٠٣م)

والجويني إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤١٩-٤٧٨هـ - ١٠٢٨-١٠٨٥م)

وحجة الإسلام الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد (٤٥٠-٥٠٥هـ - ١٠٥٨-١١١١م)

الذين خرجوا بالأشعرية من «رد الفعل» إلى «الفعل» والذين كانوا نحو نور الفرسان وأعظم أنبياء تصرح الأشعرية كمذهب ومدرسة وتيار استقطب جمهور الأمة الإسلامية

وفي ميدان [illegible] الذي حدث بعد الأشعري [illegible] هؤلاء المتكلمين وخاصة الباقلاني والجويني [illegible] الأشعرية [illegible] العقلانية [illegible] العقلانية [illegible] المعبرة بعقلانية اليونان-.

[illegible] هؤلاء [illegible] الأشعرية [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأشعرية [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] والعقلانية [illegible] عقلانية الأشعرية [illegible] من [illegible] [illegible] مشكلات [illegible] [illegible] المجتمع والأمة [illegible] [illegible] وسلوكها طريق الجمود فالتراجع فالانحلال.

[illegible] الباقلاني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأشعري [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] د/ محمود محمد الخضيري د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة لكتاب الباقلاني التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ص ٢٥-٢٦ [illegible] القاهرة [illegible]

وعند تعرض الأحناف لمسألة تعارض «البينة» الشهود
[illegible] «البينة» على [illegible] «البينة» على
[illegible] بالإجماع على [illegible] ثم تقول
[illegible] «على» عند [illegible] حكم حكم
[illegible] على [illegible] هو تعارض
[illegible] على [illegible] من عدد من
[illegible] والحجاج

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

محتوم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ومن يستتب الرشاد من يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، ولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ وبرهان العقل هو الذي عرف به وصدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر؟ وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟ فليت شعري كيف يفزع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر؟ أو لا يعلم أن خطو العقل قاصر؟ وأن مجاله ضيق منحصر؟ هيهات، قد جاب على القطع والبتات، وتعسر بذلك الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات، فمثال العقل المنحصر السليم عن الآفات والأدواء، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء المستغني إذا استغنى بأحدهما عن الآخر في عمى الأغبياء!. فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور[1].

وهذا الجمع والتأليف بين العقل والنقل لا يدع مجالاً لشك في أن العقل هو الحاكم والحكم فيه إذا ما لاح التعارض بين ظواهر النصوص وبراهين العقول.

– فالنصوص السمعية ذات الحجية، لا بد من أن تكون «قاطعة في متنها ومستندها، لا يتطرق إليها احتمال»

[1] [illegible]

والشرط في التقييد «بالسمعيات» أن يحكم العقل «بجواز» مدلولاتها. أما إذا قضى باستحالتها فالواجب تأويل هذه «السمعيات».

وإذا توقف العقل فلم يقطع «بالجواز» أو «الاستحالة» أراد نص من النصوص صدقنا به حتى يتمكن العقل من القطع فيه.

- وكل النصوص الموجبة لما يخالف البراهين العقلية، إما أنها غير صحيحة، وإما أنها قابلة للتأويل. قرر الغزالي هذه الحقائق فقال:

«وكل ما ورد السمع به ينظر، فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به قطعاً، إن كانت الأدلة السمعية قاطعة في متنها ومستندها لا يتطرق إليها احتمال وجب التصديق بها، وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشتمل السمع على قاطع مخالف للعقول، وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع بل قابل للتأويل، فإن توقف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق إمكان العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط اشتماله على القضاء بالتجويز»[5].

هكذا قرر الغزالي ويقطع بتآخي العقل والنقل في عبارات لا تنقصها الحسم والوضوح حتى ليجد القارئ منها كثيراً بين صناعته هذه ونظيرتها عند ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م) التي نقول فيها:

(٥) المصدر السابق ص ١٢١-١٢٢

[illegible]

[illegible] ... منهجاً متكاملاً..

[illegible] ... ولكثير من «خاصة» هؤلاء الأتباع ... [illegible] ... الأشعرية ضمن من يوجه إليهم الاعتقاد ... [illegible] ... في العقلانية و ... الأفق

[illegible] ... الذين أراهم الحق حقا وقواهم على اتباعه

[illegible]

---

(١) ابن رشد فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٣٠-٣٣ ... [illegible] د. محمد عمارة ط ... [illegible]

[illegible]

[illegible] في أصل العقيدة، بل أضافوا إلى [illegible] في [illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible] الدليل، ويسمى مقتضاه: حقاً، ونقيضه: باطلاً.

[illegible] الخلاف [illegible] (٢)

[illegible]

هذه الشهادة الصادقة التي تعدت حدود [illegible] الفكر في عصره [illegible] والإطلاق؟!

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٩٨-٩٩.

وتتسق مع هذا الموقف «العقلاني المستنير» كان رفض الغزالي موقف وثبت المسارعين إلى «تكفير المخالفين» وفي ذلك قال:

«ولذا ينبغي أن يمتنع المحصل عليه الاحتراز من تكفير ما وجد إليه سبيلا وأن يخطئ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من أن يخطئ في سفك محجمة من دم مسلم...»(٨).

هكذا انتقلت «الأشعرية» على يد العلماء الإسلام بدون طوروها من مرحلة «رد الفعل» إلى مرحلة «الفعل» فقدم فيها حركة عقلانية على مستوى «الاعتدال الاعتزالي» وبهذا التطور الذي تجنب فيه كثير من معالم «الوسطية الإسلامية» استقطبت «الأشعرية» جمهور أمة الإسلام.

***

وكما حدث هذا التطور «الكيفي» والنوعي للأشعرية على يد الغزالي وأقرانه حدث أيضا بالنسبة على يد كوكبة من العلماء الأعلام وفي مقدمتهم:

- أبو الوفاء بن عقيل (٤٣١ - ٥١٣هـ - ١٠٤٠ - ١١١٩م)
- وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨م)
- وابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ - ١٢٩٢ - ١٣٥٠م)

---

(٨) المصدر السابق ص ٢٠٣.

(٩) [illegible]

* فبعد أن كان الفقه في «السلفية النصوصية» هو «فقه النصوص» ولا شيء غير النصوص، نجد تأكيد ابن القيم على «فقه الواقع» الذي هو الطريق إلى «فقه الواجب» وإلى عقد القران بينهما وفي ذلك يقول:

إن هاهنا نوعان من الفقه لا بد للحاكم منهما

فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطي الواقع حكمه من الحوادث، ولا يجعل الحوادث مخالفاً للواقع [illegible] فالمفتي والحاكم [illegible] القاضي [illegible] يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله [illegible]

* ولما كان هذا الواقع متغيراً متطوراً، كان ابن القيم على تغير الفتاوى والأحكام واختلافها تبعاً لتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد، وعقد لهذا المبحث إلهام فصلاً في كتابه «إعلام الموقعين» وصفه بأنه «فصل عظيم النفع جداً»[2] [illegible] المسلم من أحكام السلف وفتاويهم، وانفتحت أمامه آفاق الأحكام جديدة وفتاوى جديدة للواقع الجديد حتى ولو خالفت ما قرره السلف من فتاوى وأحكام، وبذلك لم يعد ثبات النصوص قيداً على نمو الفتاوى وتغير الأحكام

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٢

(١١) إعلام الموقعين جـ١ ص ٨٧ - ٨٨

(٢) مصدر السابق جـ٣ ص ٣

* وعند ابن عقيل وإن [illegible] السياسة [illegible] نصوص في [illegible] الشريعة وهو [illegible] «شيخ [illegible]» [illegible] قررته «السلفية الأولى - سلفية الإمام أحمد» [illegible] ذلك أن «مقاصد الشريعة» التي تحدث عنها هذان الإمامان - هي المعيار، [illegible] فقط [illegible] النصوص [illegible] مقاصد الشريعة هي [illegible] وتحقيق المصالح ودفع المضار في المجتمع ومن ثم [illegible] هذه المقاصد فهو «شرع وشريعة» [illegible] «شرع وشريعة» [illegible] ولو لم [illegible] الرسول [illegible] لا تخالف السياسة النصوص.. وليس شرطاً أن تقف عند النصوص..

[illegible] تقرير هذا [illegible] تحت عنوان (اختلاف العلماء في العمل بالسياسة) [illegible] في [illegible] بن عقيل [illegible]

فقال ابن عقيل: العمل بالسياسة هو الحزم ولا يخلو منه إمام.

فقال الآخر: لا سياسة إلا ما وافق الشرع..

فقال ابن عقيل: السياسة [illegible] الأفعال [illegible] معه [illegible] الصلاح [illegible] الرسول ولا [illegible]

[illegible] «لا سياسة إلا ما وافق الشرع» [illegible] ما نطق به الشرع [illegible] للصحابة فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والمثل (التمثيل

[illegible] لا يجحده عالم بالسير، ولو لم يكن إلا تحريق المصاحف [illegible] اعتمدت فيه على المصلحة، وكذلك تحريق علي [illegible] كرم الله وجهه الزنادقة في الأخاديد عندما قال:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا * * * أججت ناري ودعوت قنبرا [13]

وبقي عمر بن الخطاب [illegible] من المدينة عندما خشي منه فتنة نساء المجاهدين المقاتلين.

[illegible] جواز ابن عقيل مع [illegible] الشافعي [illegible] الجواز [illegible] ابن عقيل [illegible] السياسة [illegible] الشرع [illegible] المصلحة [illegible] شرع [illegible] مصلحة الشريعة [illegible]

وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام [illegible] معترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق [illegible] على [illegible] الشريعة [illegible] على [illegible] طرف صحيحة من [illegible] يعرف [illegible] الحق من [illegible] أدلة حق، ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع.

[illegible] في معرفة [illegible] الشريعة [illegible] الأمر [illegible] لا [illegible] الشريعة [illegible]

---

(١٣) قنبر: غلام علي بن أبي طالب

قوانين سياسية تنظم بها مصالح العالم، فتولد من تقصير وشك في الشريعة وأحداث هؤلاء ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شر طويل وفساد عريض وتفاقم الأمر وتعذر استدراكه وأفرط فيه طائفة أخرى فتوسعت منه ما يناقض حكم الله ورسوله وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت به العدل وأسفر صبحه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره والله تعالى لم يحصر طرق العدل ودينه وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر أين بين بما شرعه من الطرق [illegible] قامت الحق والعدل وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها والطرق أسباب ووسائل لا تراد لأنها وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد ولكن الله بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ولن تجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهو شرعه ويبين الدلالة عليها وهل يبتلى بالشريعة الكاملة خلاف ذلك؟

لنا لا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشريعة الكاملة بل هي جزء من أجزائها وباب من أبوابها وتسميتها سياسة أمر اصطلاحي وإلا فإذا كانت عدلاً فهي من الشرع..

وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونص وكل ذلك تقسيم باطل بين السياسة والحقيقة والطريقة والعقل كل ذلك

ينقسم إلى قسمين صحيح وفاسد فالصحيح قسم من أقسام الشريعة، لا قسيم لها، والناس ضدها ومنافيها.

ومن له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق وأنه لا عدل فوق عدلها ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها وأن من أحاط علما بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة فإن السياسة نوعان:

سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها

وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها وهذا أصل من أهم الأصول وأنفعها.

هكذا تصور الموقف السلفي إزاء هذه القضية الهامة، فبعد الوقوف عند النصوص ولا شيء غير النصوص وبعد القول بأن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ولم يجئنا إليه ولا رسوله على رأي ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها وفيها غنية عن كل رأي وقياس وسياسة واستحسان.

بعد هذا الموقف والمنهج والقول تطور المنهج السلفي إلى القول بأن السياسة العادلة هي قسم من الشريعة وجزء منها حتى ولو لم تنزل

(١٤) (أعلام الموقعين) جـ ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥ و(الطرق الحكمية) ص ١٧، ١٩، ٥٠

فيها - حتى وإن تعلق بها رسول الله ﷺ - فإن حسن وزكاة وعدة على النصوص المهم ألا تكون معارضة للنصوص.

***

* * * ينبغي الإسلام بن تيمية ومن على شاكلته سنقف» وأبرز معتقديها . فإننا نجد لديه

- انتصاراً للعقل والعقلانية، يقول فيه

ما عرف بصريح العقل لا يُخالف ما جاء به السمع قط، وقد بسطت هذا في غير هذا الموضع، وبينت أن ما جاء به الرسول الصحيح لا يُعارض صريح العقل بحال، وإنما يُعارض ما يظن بعض الناس أنه عقل، وهو في الحقيقة جهل، فإن العقل هو الغريزة التي في الإنسان، ومن سماها علماً أو فطرة فهو بحسب ما يثبت بها من العلوم الضرورية، وبحسب ما يستدل به من العلوم النظرية، فإن العلوم النظرية الاستدلالية إنما تحصل بالعقل الذي هو الغريزة، وهذا كما أن الأكل والشرب يحصل بالفم الذي هو آلة الأكل والشرب، وكما أن الإبصار يحصل بالعين التي هي آلة الإبصار، وكما أن السمع يحصل بالأذن التي هي آلة السمع، وكما أن البطش يحصل باليد التي هي آلة البطش، وكما أن المشي يحصل بالرجل التي هي آلة المشي، فالعقل الذي هو الغريزة التي في الإنسان هو بمنزلة هذه الآلات، والعلوم الضرورية التي تحصل بالعقل هي بمنزلة الأكل والشرب والإبصار والسمع والبطش والمشي، والعلوم النظرية التي تحصل بالعقل هي بمنزلة الربح الذي يحصل بالتجارة والزراعة، والشفاء الذي يحصل بالدواء، والري الذي يحصل بالماء، والشبع الذي يحصل بالطعام، والري الذي يحصل بالشراب، والكسوة التي تحصل بالثياب، والاستظلال الذي يحصل بالبناء، والركوب الذي يحصل بالدابة، والسلاح الذي يحصل بالحديد، والمال الذي يحصل بالمعدن، والعلم الذي يحصل بالكتاب، والهدى الذي يحصل بالقرآن، والحياة الأبدية والنعيم المقيم الذي يحصل بالإيمان والعمل الصالح، فالعقل الذي هو الغريزة بمنزلة هذه الأسباب، والعلوم الضرورية بمنزلة المسببات، والعلوم النظرية بمنزلة المسببات، فالعقل الذي هو الغريزة لا يعارض ما جاء به السمع قط، وإنما يعارض ما يظنه بعض الناس عقلاً، وهو في الحقيقة جهل، فإن العقل عن معرفته»[٥] ...

---

٥ - [illegible] مقدمة الصحيح المسند، ج ١ ص ٨٣ ط. القاهرة، سنة ١٣٣١هـ

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل فالحق لا يتناقض والرسل بما أخبرت بحق وأنه فطر عباده على معرفة الحق، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة.

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (فصلت: ٥٣) فأخبر أنه سيريهم الآيات الآفاقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة القرآنية والبرهانية العيانية، وتتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول.

فالعقل الصريح قرين النقل الصحيح، والحكمة أخت الشريعة، والتعارض بينهما غير وارد البتة، إنهم إلا إذا عاند الصراحة عن العقل، وغابت الصحة عن النقل، لأن العقل الصريح لا يثمر إلا الحق، وكذلك النقل الصحيح إذ المصدر واحد وهو الحق سبحانه وتعالى.

* كذلك نجد لدى ابن تيمية

[illegible] الملتحسين والتقبيح بواسطة العقل [illegible] فيه

وأكثر الصوائف على إثبات الحُسن والقبح العقليين وهذا قول الحنفية ونقلوه أيضاً عن أبي حنيفة (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) نفسه وهو قول كثير من المالكية والشافعية والحنفية كأبي الحسن التميمي (٣٧٠هـ) وأبي الخطاب وغيرهما من أئمة أصحاب أحمد (١٦٠-٣٠٠هـ/٧٨٠-٨٥٥م) وكأبي علي بن هريرة (٣٤٥هـ) وأبي بكر القفال الشاشي (٣٦٥هـ) وغيرهما من الشافعية وكذلك من أصحاب مالك

ابن تيمية، منهاج السنة، [illegible] ص ٨٢، ط الدار القاهرة، سنة ١٣٢١هـ

(٩٣ - ١٧٩هـ ٧٠٢ - ٧٩٥م) وكذلك أهل الحديث كأبي نصر السجزي (٤٤٠هـ) وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني (٤٧٠هـ) وغيرهما.

بل هؤلاء ذكروا أن نفي ذلك هو من البدع التي حدثت في الإسلام في زمن أبي الحسن الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤هـ - ٨٧٤ - ٩٣٦م) لما ناظر المعتزلة في القدر بطريق الجهم بن صفوان (١٢٨هـ - ٧٤٥م) ونحوه من أئمة الجبر، فاحتج على هذا النفي.

قالوا: إن لا فنفي الحسن والقبح العقليين مطلقا لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، بل ما يؤخذ من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وبيان حكمة الله في خلقه وأمره وبيان ما فيما أمر الله به من الحسن الذي يعلم بالعقل وما في مناهيه من القبح المعلوم بالعقل ينافي قول النفاة.

والحسن والقبح من أفعال العباد يرجع إلى كون الأفعال نافعة لهم وضارة لهم، وهذا مما لا ريب فيه أن يعرف بالعقل. لهذا اختار الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ - ١٥ - ١٢١٠م) في آخر أمره أن الحسن والقبح العقليين ثابتان في أفعال العباد.

وأما إثبات ذلك في حق الله تعالى فهو مبني على معنى محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه وفرحه بتوبة التائب ونحو ذلك.

وأما العقل، فأخص صفات العقل عند الإنسان أن يعلم الإنسان ما ينفعه ويفعله، ويعلم ما يضره ويتركه. والمراد بالحسن: هو النافع، والمراد بالقبيح: هو الضار. فكيف يقال إن عقل الإنسان لا يميز بين الخير والقبيح؟ وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا؟

إن جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة، وينفر عمن يتصف بالقبائح، فذلك يميل جنس الإنسان إلى سمع كلامه ورؤيته، وهذا ينفر عن رؤيته وسمع كلامه..

إن العقل يحب الحق ويلتذّ به، ويحب الجميل ويلتذّ به، وإن محبة الحمد والشكر والكرم هي من العقليات، وإن للإنسان قوتين: قوة علمية فهي تحب الحق، وقوة عملية فهي تحب الجميل، والجميل هو الحَسَن، والقبيح ضده..»[17].

نعم، هكذا تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قدرة العقل على التحسين والتقبيح، أي إثبات الحُسن والقُبح في الأشياء، بل وكذلك هذا هو مذهب سلف هذه الأمة وأئمتها، فإن أوهاماً متراكمة في عقول خصومه وأنصاره أجمعين، فهلا عادوا قراءته؟ وهلا فهموا عبارته الجميلة والعميقة التي يقول فيها:

«إن جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة، وينفر عمن يتصف بالقبائح، وإن العقل يحب الحق ويلتذّ به، ويحب الجميل ويلتذّ به، وإن للإنسان قوتين: قوة علمية فهي تحب الحق، وقوة عملية فهي تحب الجميل، والجميل هو الحسن، والقبيح ضده..

وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا؟ فكيف يقال إن عقل الإنسان لا يميز بين الحسن والقبيح»؟!

---

[17] ابن تيمية، [illegible] ص ٤٢، ٣٢، ٢٩، [illegible] ط [illegible] بيروت

*وبعد أن كانت السلسلة الأولى [illegible] السلفية النصوصية تكاد تستبعد «القياس»، وجدنا ابن تيمية [illegible] مجدد السلسلة وفيلسوفها [illegible]

القياس هو الميزان العدل الذي أنزله الله، ويقول:

«والقياس الصحيح هو من العدل الذي أنزله الله، ولا يجوز قط أن يختلف الكتاب والميزان، فلا يختلف نص ثابت عن الرسل وقياس صحيح، لا قياس شرعي ولا عقلي، ولا يجوز قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقلية، وأن القياس الشرعي الذي روعيت شروط صحته يخالف نصا من النصوص، وليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح بل على خلاف القياس الفاسد.

ومتى تعارض في ظن الكتاب والميزان، النص والقياس الشرعي أو العقلي، فأحد الأمرين لازم.

إما فساد دلالة ما احتج به من النص، إما بألا يكون ثابتا عن المعصوم، أو لا يكون إلا على ما ظن.

وإفساد دلالة ما احتج به من القياس، سواء كان شرعيا أو عقليا، بفساد بعض مقدماته، وكلها لم تقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة.

ولا يجوز لعاقل أن يظن أن الميزان العقلي الذي أنزله الله هو منطق اليونان، بوجوه:

أحدها: أن الله أنزل الموازين مع كتبه قبل أن يخلق اليونان من عهد نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم، وهذا المنطق اليوناني وضعه [illegible]

٢٨٤ - ٢٣٣ق.م) قبل المسيح بثلاثمائة سنة فكيف كانت الأمم المتقدمة ترن بهذا؟!

الثاني: أن أهل الإسلام ما زالوا يزنون بالموازين العقلية ولم نسمع سلفاً يذكر هذا المنطق اليوناني وإنما ظهر في الإسلام لما عرفت الكتب الرومية في دولة المأمون (١٧ - ٢١٨هـ / ٧٨٦ - ٨٣٣) وقربت منها.

الثالث: أنه ما زال نظار المسلمين بعد أن عُرِّبوا وعرفوه يعيبونه ويذمونه ولا يسمون إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية[٨].

فبعد أن تقرب السلفية الأولى - بخصوصية من القياس كرد فعل للمنطق اليوناني - رأينا ابن تيمية في الفلسفة المتحدثة يعتمد القياس الصحيح الشرعي والعقلي كأنه أصيلة من ثبات النظر «بالموازين العقلية» التي يعتمدها المسلمون قبل ترجمة المنطق الأرسطي وبعد ترجمته فانتقل بالموقف السلفي إزاء القياس من رد الفعل إلى «الفعل» المتوازن.

* وبعد أن كانت السلفية عند الإمام أحمد شديدة النفور من التأويل اتخذ موقف ابن تيمية بإزاء التأويل متسماً بالتوازن والموضوعية فهو:

---

٨ - [illegible]

- تمييز بين التفسير المقدور للعلماء وبين مآلات الإلهيات والمغيبات التي لا يعلمها إلا الله، وذلك بقوله: «والتأويل المقبول ما دل على مراد المتكلم، فالمتأول إذا لم يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله لفظاً بما يحتمله من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب التحريف والإلحاد لا من باب التفسير وبيان المراد.

وأما بيان تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق الله هو كنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه.

وكذلك الصحابة والتابعون فسروا جميع القرآن، وكانوا يقولون: إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر.

وأما من قال إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله، وقالوا إنهم يعلمون معناه.

«الآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، إنما نفى عن غيره علم تأويلها، لا علم تفسيرها ومعناها».

فإدراك مآلات الإلهيات والمغيبات وكنهها هو مما اختص الله به نفسه سبحانه، لأن اللغة والعلم الإنساني النسبي لا يستطيعان التعبير عن حقائق هذه الإلهيات والمغيبات، والممكن - للعلماء - هو التفسير لما ورد حول هذه الإلهيات والمغيبات.

وإذا كان التأويل هو السعي إلى إدراك مراد المتكلم، فالباب أمامه مفتوح. أما إذا كان المراد من التأويل تحميل الكلام بما لم يرده المتكلم كالتأويل الباطني، والتأويل الحداثي الوضعي، فهو مرفوض.

* وفي قضية: التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

كان ابن تيمية - ككل أئمة أهل السنة والجماعة - شديد الحذر والتحذير من التكفير - على خلاف ما يتوهم الذين لم يفقهوا حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية التي يتحدث عنها ابن تيمية في حسم ووضوح فيقول:

«والذي نختاره ألا نكفّر أحداً من أهل القبلة، والذين عليه أن يقول المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها مثل:

أن الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بالذات؟

وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا؟

وأنه هو متحيز؟

وهل هو في مكان وجهة؟

وهل هو مرئي أم لا؟

لا يخلو أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها، وإلا توقف، والأول باطل، إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل ويبحث عن كيفية اعتقادهم

فيها فلما لم يطلبهم بهذه المسائل من ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه الصلاة والسلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم علمنا أنه لا يتوقف صحة الإسلام على هذه الأصول وإن كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الإسلام وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة.

إن الكفر حكم شرعي منفي عن صاحب الشريعة والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع كما أنه ليس كل ما كان صوابا في العقل يجب في الشرع معرفته.. وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه.

وقد نُقل عن الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ ٧٦٧ - ٨٢٠م) رضي الله تعالى عنه أنه قال: «لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية[1] فإنهم يعتقدون حل الكذب».

أما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فقد حكى الحاكم (٣٣٠هـ - ٩٤٥م) صاحب المختصر في كتاب (المنتقى من أبي حنيفة أنه لم يكفر أحدا من أهل القبلة وحكى أبو بكر الرازي عن الكرخي (٢٦٠ - ٣٤٠هـ ٨٧٤ - ٩٥٢م) وغيره مثل ذلك..»[2]

---

[1] الخطابية من الشيعة [illegible] لأنه وإنه لا بد من رسول صامت مع الرسول الناطق وإن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الناطق، وعلي هو الصامت، ولقد ثاروا بالكوفة، وقمعت ثورتهم سنة ١٤٣هـ وهم - بالله - يستحلون الكذب.

(٢) (بيان موافقة صريح العدل لصحيح المنقول) ج ١ ص ٥٠ - ١٤٤ - ١٤٥

هكذا [illegible] ابن تيمية [illegible] تكفير [illegible] من هو [illegible] يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله [illegible] وعلى هذا الموقف [illegible] الاهتمام العظيم [illegible] الاختلاف حولها بين الفرق الإسلامية في علم أصول الدين [illegible] فريق كثيرون إلى تكفير [illegible] المسائل الأصول» لا يتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها [illegible] الموقف الحاسم برع «فتنة التكفير» من صفوف الأمة الإسلامية [illegible] أن [illegible] هو علم الفروع ولم يرد التكفير في الفروع [illegible] هو شيخ الإسلام ابن تيمية يخرج الاختلاف حول هذه المسائل الكلامية الأصول» من أسباب التكفير [illegible] من أركان الإيمان ولا أركان الإسلام التي جاءت بها النصوص قطعية الدلالة والثبوت

[illegible] هو مذهب [illegible] المذاهب المعتبرة في فكر الإسلام.

* [illegible] حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [illegible] «[illegible] التكفير» وقال

[illegible] التكفير إلا [illegible] من التكفير [illegible] الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم» (٣١)

[illegible] من تكفير [illegible] بقية الفرق فقال

---

(٣١) [illegible] في الاعتقاد ص ١٣

«وبعلمك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظّار فهو إلى الكفر والتناقض أقرب.

أما الكفر، فلأنه نزّله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته.

وأما التناقض، فهو أن كل واحد من النظّار يوجب النظر ولا ترى في نظرك إلا ما رأيت وكل ما رأيته حجة وأي فرق بين من يقول: قلّدني في مجرد مذهبي، وبين من يقول: قلّدني في مذهبي ودليلي جميعاً؟. وهل هذا إلا تناقض؟».[٢٢]

ونهى الغزالي عن تكفير المتأولين - لأن التأويل يدرأ تهمة الكفر فقال:

«ولا يلزم كفر المتأولين، وما من فرقة من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه...»

والحق الصريح أن كل من اعتقد ما جاء به الرسول ﷺ واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جازماً فهو مؤمن وإن لم يعرف أدلته بل الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة».[٢٣]

* * *

---

[٢٢] الغزالي (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٤٠، ط القاهرة سنة ١٩٠٧م

[٢٣] المصدر السابق ص ٥، ٦، ٢٠، ٢٣

إذا كان هذا هو موقف الأشعرية في طورها الجديد ومرحلة تطورها، طور «الفعل» لا «رد الفعل» إزاء هذا المبحث الخطر «فتنة التكفير» التي سقطت فيها قطاعات من الفرق الكلامية، فإن «السلفية الجديدة» - ممثلة في شيخ الإسلام ابن تيمية - قد سارت على هذا الطريق. ونحن عندما نتأمل ما سبق وأوردناه لابن تيمية من التمييز بين الأصول التي يتوقف عليها صحة الإيمان وبين «مسائل الأصول» التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية، نجده متفقاً تماماً مع ما قدمناه للغزالي من التمييز بين «الأصول» أصول الاعتقاد وبين «الفروع» التي لا تكفير فيها، فالتكفير هو التكذيب للرسول ﷺ في شيء مما جاء به متواتر، وضده الإيمان الذي هو التصديق بما جاء به الرسول ﷺ.

* وكما لم يُكفِّر الغزالي الشيعة الإمامية الذين يكفرون أهل السنة والجماعة لاختلافهم معهم في الإمامة، وحذّر من مبادئهم تكفير التكفير، كذلك نهى ابن تيمية عن تكفير الذين وقعوا في خطيئة التكفير لمخالفيهم، فقال:

ولكن من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالاً يجعلونها واجبة في الدين أن يجعلوها من الإيمان الذي لا بد منه ويكفّرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم.

وأهل السنة لا يبتدعون قولاً ولا يكفّرون من خالفهم فأخطأوا وإن كان مخالفاً لهم مكفراً لهم مستحلاً لدمائهم كما لم يكفر الصحابة

الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم [illegible] لأن تكفير حكم شرعي [illegible] بمثله [illegible] وكذلك [illegible] حق الله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله [illegible]

كذلك نهى ابن تيمية عن تكفير المعيّن بغير حجة ولا برهان [illegible] فكفر المقولة لا يستلزم تكفير قائلها [illegible] وفي ذلك يقول شيخ الإسلام:

[illegible] أعظم [illegible] أن تكفير [illegible] ومعصية [illegible] من خالفها كان كافرا [illegible] وفاسقا [illegible] وعاصيا [illegible] عمر هذه الأمة خطأها [illegible] الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العلمية [illegible] في كثير من هذه المسائل [illegible] لم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية.

[illegible] كفر وتكفير من قال بقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ / ١١٨١ - ١٢٦٢م) [illegible] المفترين على الدين، لا سيما مع قول النبي ﷺ: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[٢٧].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢٧) [illegible]

كذلك استنكر ابن تيمية تكفير البعض لأئمة المذاهب الإسلامية مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم وأصحابهم بسبب الاختلاف معهم في الاجتهاد والرأي.. وقال

«لقد اتفق المسلمون على أنه لا يكفر أحد من هؤلاء الأئمة ومن كفرهم بذلك (وجواز وقوع الصغائر والأخطاء من الأنبياء ولا يقرون عليها) استحق العقوبة الغليظة التي تزجره وأمثاله عن تكفير المسلمين»[28]

كذلك رفض ابن تيمية تكفير المجتهد المخطئ حتى ولو كان الاجتهاد الخاطئ في المسائل العقدية، وقال

«وأما تكفير شخص أسلم بمجرد الغلط في ذلك فعظيم فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال: ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله» وثبت في الصحيح أن «من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»

وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟ فإن ذلك أعظم من قتله»[29]

هكذا تحدث فيلسوف السلفية شيخ الإسلام ابن تيمية وهكذا تطورت السلفية من رواد فعل النص حتى على عقلانية النوازل المجردة من النص الديني «تطورت من تلك الصورة الأولى إلى

---

[28] [illegible]

[29] ابن تيمية كتاب الاستقامة [illegible] ١٦٦ تحقيق د/ محمد رشاد سالم

عرف بها زمن الإمام الورع أحمد بن حنبل.. الذي «لم يكن» كما قال الغزالي «ممعناً في النظر»[٣٠]

فعادت هذه السلفية على يد أعلامها الجدد والعظام أبو الوفاء بن عقيل وابن تيمية وابن القيم وأمثالهم، عادت (فعلاً) وليس مجرد (رد فعل) واستوعبت الكثير من عقلانية الإسلام وأبدعت في فقه الواقع وفي السياسة الشرعية، وشاركت أئمة الأشعرية هذه المواقف الشجاعة في رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كما تبنت واعتمدت الكثير من أدوات النظر العقلي في فقه النصوص والاجتهاد فيما لا نص فيه من الرأي والقياس والتأويل الصحيح، وبذلت صحبة أمام السلفية الجديدة توازي فيها العقل والنقل، واستعانت بأدوات النظر لإقامة كامل الإسلام في الواقع الجديد الذي تبلورت فيه.

وبذلت صحبة أمام هذا التطور آراء أكثر من سلفية:

سلفية نصوصية: هي رد فعل العقلانية اليونانية اللاتينية.

وسلفية عقلانية: هي فعل توازي فيه العقل والنقل، استعان به جيل المجددين إلى تجديد ذلك المسلمين بتجديد الإسلام.

وتلك حقيقة كبرى يغفل عنها الكثيرون من المنتسبين للسلفية، ومن خصوم هذا التيار!..

---

(٣٠) الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص

-٤-

السلفية فى العصر الحديث

فلما كان عصرنا الحديث.. وفى بادية «نجد» على وجه التحديد، ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١٠٥-١٢٠٦هـ ١٧٠٢-١٧٩٢م) فمثلت لوناً متميزاً من السلفية، هو أقرب بسبب بداوة البيئة، وفقرها الفكرى والفلسفى، إلى «رد الفعل السلفى» كما كان عند الإمام أحمد بن حنبل، منه إلى السلفية العقلانية، كما كانت لدى شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن عقيل.

لقد نظر ابن عبد الوهاب فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله بل ويتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة فى الملمات، كما وجد البدع قد أصابت العبادات بالزيادة والنقصان، فلما عرض صورة «إسلام العامة» هذه على حقيقة «إسلام السلف» وجد أن الإسلام الأول «إسلام السلف» قد أصبح «غريباً» فكان أن وجد نفسه فى ذات الموقف الذى وقفه إمام السلفيين القدماء الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ - ٧٨٠-٨٥٥م)، عندما دعا إلى العودة إلى إسلام ما قبل الفتوحات والبوبانيات، وعلم الكلام، ذلك الإسلام الذى يكفى الإنسان منه النصوص، دونما حاجة إلى العقلانية الكلامية والفلسفية وما أثمرت من «قياس» و«رأى» و«تأويل»

وكانت بلاده تحت [illegible] في فكر مركب [illegible] ملاءمة [illegible] فظواهر النصوص تكفي للاحالة على علامات استفهام [illegible] كما [illegible] وتصوراته [illegible] الإسلام الصحيح [illegible]

[illegible] بن عبد الوهاب يدعو [illegible] الإسلام [illegible] ويركز على اصلاح [illegible] وتقويم التصورات [illegible] وتصحيح [illegible] وحشوية البيئة البدوية على تميز الأسلوب الوهابي بالحشوية [illegible] فحكم بالشرك الظاهر الجلي على [illegible] والمشاهد والمزارات والرموز بل ورأى [illegible] شرك الجاهلية الأولى[1].

[illegible] بن عبد الوهاب [illegible] كما صنع أعلام [illegible] يحكم لغير النصوص، فهاجم «القياس» حتى لو كان صحيحا، وأعرض عن [illegible] في فهم النصوص وتفسيرها[2] [illegible] له بجانب النصوص[3].

وهكذا [illegible] بداوة [illegible] الجديدة [illegible] مثله سلفية ابن تيمية وحيل المجددين لهذا التيار..

* * *

---

(1) ابن عبد الوهاب: رسالة (هدية طيبة) مطبوعة ضمن مجموعة التوحيد [illegible]

(2) المصدر السابق: رسالة (هذه مسائل الجاهلية) ص ٨٧

(3) عبد الكريم الخطيب: (الدعوة الوهابية) ص ١٢ ط القاهرة سنة ١٩٧٤م

ولقد حلت سفرية الإمام محمد عبده (٢٦٦ - ٣٢٣ هـ / ٨٤٩ - ١٩٠٥م) في التقييم الموضوعي لهذه السلفية، سلفية شيخ الإسلام ابن تيمية .. وسلفية الشيخ بن عبد الوهاب.

* فمحمد عبده قد مثل لوناً من السلفية العقلانية المستنيرة، فدعا «إلى فهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كتب معارفه إلى ينابيعها الأولى» [illegible] إلى السلفية في [illegible] التي تعود في فهمه إلى المنابع الجوهرية والنقية قبل ظهور الخلاف.

وفي ذات الوقت دعا إلى العقلانية في فقه النصوص [illegible] من [illegible] وضعها [illegible] من سطحه [illegible] من خلطه وخلطه [illegible] حكمة [illegible] حفظ نظام العالم الإنساني [illegible] هذا الوجه [illegible] على البحث في [illegible] الحقائق [illegible] مطالبا بالتعويل عليها في [illegible] النفس وإصلاح العمل».

* كما دعا [illegible] بهذه السلفية الدينية [illegible] إلى «تصحيح الاعتقاد، وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين [illegible] من [illegible] بسلامة الأعمال من الخلل والاضطراب [illegible] أحوال الأفراد [illegible] وتهذيب أخلاقهم بالملكات السليمة»[5].

[illegible] سنة ١٩٧٢ والقاهرة سنة ٢٠٠٦م

(٥) د/ محمد عمارة (الإصلاح بالإسلام) ص ١٥ ط القاهرة سنة ٢٠٠٦م

* وبهذه السلفية العقلانية انتمت الإمام محمد عبده إلى تراث شيخ الإسلام ابن تيمية فأشار بطبع كتابه (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) و (منهاج السنة النبوية) فطبع لأول مرة قبل عام من وفاة الأستاذ الإمام ووصف ابن تيمية بأنه «علم الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين» ووصف خصومه الذين يكتبون له الشتائم بأنهم «مقلدون يملئون أفواههم بهذه الشتائم (لابن تيمية) وعليهم إثمها وإثم من يقفوهم بها إلى يوم القيامة»(٦).

* أما السلفية النجدية: سلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلقد وقف منها الإمام محمد عبده موقفاً موضوعياً متوازناً.

لقد مدح إصلاحها على جبهة العقائد، وجهادها ضد البدع والخرافات فقال:

«إن مذهبهم حسن ولقد أنكرت كثيراً من البدع وبحثت عن الدين كثيراً مما أضيف إليه وليس منه».

لكنه انتقد «تقليدها اللاعقلاني»، فقال:

«لقد زعمت أنها تفضلت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها وبين النظر في آيات القرآن ومتون الأحاديث لتفهم أحكام الله منها، لكنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد والتقيد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين وإليها كانت الدعوة ولأجلها منحت النبوة فلم تكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية السليمة أحباء.. بل كانوا أضيق عطناً -(أفقاً)- وأحرج صدراً من المقلدين»(٧).

---

(٦) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٣ ص ٣٥٩

(٧) المصدر السابق، ج ٣ ص ٢١٤

كما انتقد غلو هذه السلفية الوهابية في الممارسة والتطبيق، فقال:

«لقد قامت الوهابية للإصلاح ومذهبهم حسن لولا الغلو والإفراط

أي حاجة إلى قولهم بهدم قبة النبي ﷺ؟!

- والقول بكفر جميع المسلمين؟!.

والعمل على إخضاعهم بالسيف أو إبادتهم؟

نعم لا بأس بالمبالغة في القول والخطابة لأجل التأثير بالترهيب والترهيب والتنفير ولكن ما كل ما يقال يكتب ويبنى عليه عمل»[8]

تلك هي السلفية كما عرفها التراث الحضاري للإسلام

* لقد بدأت في العصر العباسي «نزعة نصوصية» صرفة، كرد فعل «للعقلانية اليونانية» اللادينية، المنفلتة من أية نصوص دينية

* ثم تطورت إلى «سلفية عقلانية» على يد فيلسوفها شيخ الإسلام ابن تيمية، فعدت «فعلا» توازن فيها العقل والنقل، وفقه الواقع مع فقه الأحكام..

* ثم جاءت «السلفية النجدية» في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب «رد فعل» للبدع والخرافات التي طرأت على عقائد الإسلام وعباداته في بادية نجد، فوقفت إيجابياتها عند تنقية هذه العقائد والعبادات من البدع والخرافات، ذكر الدولة البيئة، وقفزها الفكري مع الحذر الشديد من الوافد الغربي، قد وقف بها في العقلانية والتمدن عند الجمود والتقليد..

* * *

(8) المصدر السابق جـ ٣ ص ٥٣٧

واليوم

وفي إطار تصاعد مد اليقظة الإسلامية التي تمثل أعظم ظواهر العصر الذي نعيش فيه، نجد هذه «السلفية الجديدة» قد أثار عليها العديد من التوجهات، وطرأت عليها الكثير من الانشقاقات فمنها:

ما يسمى بالسلفية العلمية التي تحاول استلهام المشروع التجديدي لشيخ الإسلام ابن تيمية، مع مواءمته لمستجدات الواقع المعيش.

وما يسمى بالسلفية الجهادية التي سلكت طريق العنف في التغيير، ومن هذه السلفية الجهادية من يختص بالعنف الامتدادات الاستعمارية الغربية في ديار الإسلام، ومنها من يتوجه بالعنف إلى هز الاستقرار في مجتمعات الإسلام.

ومن هذه السلفية المعاصرة فصيل محدود الحجم والتأثير، بلغ في الغلو والجمود حدود فاقت الحنان، حتى لقد كتب بعضهم في تكفير أئمة السلفية!!..

فقالوا عن ابن القيم:

«إنه رائع مبتدع كذاب وقح بليد غبي جاهل ضال مضل خارجي ملعون كافر، بلغ في كفره مبلغا لا يجوز السكوت عنه ولا يحسن للمؤمن أن يعض عنه ولا أن يتساهل فيه، وفيه تصوف وابتداع وخصوصا في كتاب (مدارج السالكين) و(كتاب الروح)»!!

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فلقد قال عنه أحد كتاب هذه السلفية الظلامية

«إنه لا تؤخذ منه أحكام بولاء أو براء، ولقد سيندم من تبع مجازر هذا الرجل المتكبر الذي صاغت مواهبه في شتى البدع! ومن نجده أمامنا إنما نجده ممثلاً في التربع والتشدد!»[1]

* * *

وهكذا نجد أنفسنا تاريخياً.. وحديثاً أمام عدد من السلفيات وليس أمام سلفية واحدة، كما يحسب كثير من السلفيين ومن خصوم السلفيين (!!)

---

[1] محمد [illegible] سنة [illegible] م [illegible] (الصلبين) و(تبديد الظلام المخيم) و(المتمردات)

[illegible] الإسلام [illegible] سنة [illegible] م [illegible] عن الوهابية [illegible] سنة [illegible] م [illegible] القاهرة سنة [illegible] م [illegible] سنة [illegible] م [illegible] سنة [illegible] م [illegible]

المصادر والمراجع

ابن تيمية: (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ. (منهاج السنة النبوية) طبعة القاهرة سنة ١٣٢١هـ. (كتاب الرد على المنطقيين) طبعة دار المعرفة- بيروت. (مجموع الفتاوى) طبعة القاهرة. (كتاب الاستقامة) بتحقيق: د. محمد رشاد سالم. طبعة السعودية. (الرد على البكرى).

ابن رشد - أبو الوليد-: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة دار المعارف - القاهرة سنة ١٩٧٢م.

ابن القيم: (إعلام الموقعين) طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م. (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) تحقيق: د. محمد جميل غازى. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

أبو البقاء الكوفى: (الكليات) تحقيق: د. عدنان درويش. محمد المصرى. طبعة دمشق سنة ١٩٣١م.

الباقلانى: (التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) تقديم وتحقيق: محمود محمد الخضيرى. د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

بيكر - كارل هينريش-: (وارث ووارث) - بحث منشور بكتاب (التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية) ترجمة: د. عبد الرحمن بدوى. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

الجرجانى - الشريف-: (التعريفات) طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

جلال محمد عبد الحميد موسى: (نشأة الأشعرية وتطورها) طبعة بيروت سنة ١٩٧٠م.

عبد الكريم الخطيب: (الدعوة الوهابية) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م.

الغزالى - أبو حامد-: (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م. (الاقتصاد فى الاعتقاد) طبعة مكتبة صبيح - القاهرة - بدون تاريخ.

محمد عبده - الأستاذ الإمام-: (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م. وطبعة دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

محمد بن عبد الوهاب - الشيخ-: (هدية طيبة) منشور ضمن (مجموعة التوحيد) طبعة المكتبة السلفية - القاهرة. (هذه مسائل الجاهلية) منشور ضمن (مجموعة التوحيد) طبعة المكتبة السلفية- القاهرة.

د. محمد عمارة: (الغزو الفكري: وهم أم حقيقة؟) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩م. (تيارات الفكر الإسلامي) طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ٢٠٠٧م. (مقام العقل في الإسلام) طبعة دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٨م. (الوسيط في المذاهب والمصطلحات) طبعة دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٢م. (معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام) طبعة دار نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٦م. (الإصلاح بالإسلام) طبعة دار نهضة مصر - القاهرة سنة ٢٠٠٦م. (الطريق إلى اليقظة الإسلامية) طبعة دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٩٠م.

د. محمد موسى الشريف : (القدوات الكبار بين التحطيم والانبهار) طبعة دار الفرقان سنة ٢٠٠٧م.

تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
تقديم بقلم أ. د/ محمود حمدى زقزوق	٣
مقدمة المؤلف	٧
١- تحرير مفاهيم المصطلحات	٩
٢- السلفية ظاهرة عباسية	١٩
٣- تطور السلفية	٢٧
٤- السلفية فى العصر الحديث	٥٥
المصادر والمراجع	٦٢

مطابع الأهرام التجارية - قليوبيا - مصر

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر